رواية قصيرة
هلْ تكفيكِ رُوحي ؟
الكاتب
جمال بن عبد الله الحيان

الترقيم الدولي :

978-9920-39-594-6

تحقيق ومراجعة :

الشُّرطيّ الخل والصديق

تقديم :

و حبّا منّا للُغتنا الأم ؛اللغة العربية ، نقول نعم لاستمرارية نسج حروفها...بما قدّر الله تعالى و سخّر ...آملين أن تستمرّ القراءة المطوّلة...وحتى يستمرّ التّاريخ العربي العتيق في مجمله و المُتقنُ في شقّه الأدبي ؛ هذا الشق الذي طالما عانى المضاهاة و بشتى التلاوين ،،، و سعى مناهضوه إلى محاولاتٍ لا تُعدّ لشل حركته بل و طالبوا بتبعيته ثم إقصائه سرّا و علانية ، لولا أفكار و ألسنة و أقلام علمائنا العرب ؛ الأسلاف الذين برهنوا بالكم و الكيف على أن أدب اللغة العربية و تاريخها قد تمّ التأسيس لهما منذ قرونَ لأنهم أيقنوا أنهما يمثّلان رمز الوحدة و الترابط و ميزانا تُكال به القوميات و الشّعوب ...

و لذلك كانت كل كلمة داخل جنس أدبي ما و كيفما كانت دلالاتها أو كتاباتها فهي تبقى شاهدا عل عصر تشبّت فيه أهلوه بعروبيتهم ...كما أنها تزيد في الميزان ثقلا ...و مهما وصل وزنه فإنّه قد يبقى عبئاً على أعداء فنوننا العربية متشعبة المذاهب و الخصوصيات ...

لقد فطن السلف ؛ علماء اللغة ؛ لهذا التصارع حول الكينونة و الريادة فكانوا السباقين لتأسيس مقاييس لتركيب الكلام و معايير لصيانة معناه و

ميزات كل لون عن آخر ...و هذا تلميح ضمني منهم على ألا صعوبة و لا مشاق ستعترضكم أحفادنا -- و خلفنا الأدبي خاصة -- للدفاع عن قوميتكم و لغتكم ...و كأنهم لما فطنوا بمكر غيرهم عبدوا الطريق فسنّوا الضوابط و قالوا : ما عليكم الآن إلا أن تحضروا أقلاما و أوراق و أن تعصروا خيالكم و ذاكرتكم و ان تكتبوا ما شئتم ...فقط أغرقوا من كان لكم ظهيرا و بلغتكم العربية العتيدة المنصورة بإذن الله عز و جل ...

و منذ ذاك الحين فكل الكتابات ما هي إلا اعتراف بسيط جدا لما أسدته لنا لغتنا التي نتواصل بها من خدمات لا توصف ...و تأتي الرواية طيّه في نفس مسار الدفاع عن اللغة و الأدب عموما و كذلك مواصلةً لدرب الرواية المغربية التي أبانت عن سخائها و عطائها المتميزين منذ عهد غابر بفضل كفاح و استماتة أبناء المملكة المغربية الشريفة من أجل إثبات أصول الأدب المغربي العريق و توطيد دعائم هويته المستقلة كما استقلالها جغرافيا ...

إن حب الأوطان كحب اللغات ...و لذلك كان واجبا في حقهما كل التضحيات ...و من كل النّاحيات ...

فمن الغيورين من ضحى ببعض الأوقات ...و منهم من ضحى بكل الحياة،

فهل تكفيكِ روحي يا لغتي ؟؟؟ ...

و هل تكفيكَ روحي يا وطني ؟؟؟ ...

و دمتما معا في رعاية ربّنا و رب الأرض ...

و الجبال و البحور ...

والسّماوات ...

الشرطيّ الخل والصديق

إهداء

نهاية العالم أن يموت كل جميل ، كل يوم تأتيني ذكرياتك ، هل تواسيني بتلك الذكريات ...!!

بما أعزي نفسي ...!!

هل سألتقي بك في الجنان ...!!

أعلم أنك لن تكلمني ولن تجيبني ، لو كان أحد غيرك ، لربما ما حزنت بهذا القدر ...آمنت بالله الواحد القهار ...

أفتقدك كثيرا يا صديقي ...

يا أنقى القلوب التي عرفت ...

أبكي بلا صوت ...

رحلت من بين كل الملايين ...

فليهنئ الحاسدون الآن ...دمت شامخا صديقي محمد مركو 💚💐❤️

" تعرضت لأيام سيئة و أيام جيدة , أخذت
حصتى من الرياح العاتية و الطرق الوعرة هذا ما
جعلنى ما أنا عليه اليوم "

كاترين

إلى حبيبتي الغالية

كاترين ديمتري

سأشد الرحال إليك ، فصورتك محفورة بين جفوني ، تعذّر عليّ المجيء لتوديعك ، قلبي مكسور ونفسي تواقة إليك مولعة بك .

وإن من أجمل المشاعر هي التي عشتها معك على شطّ البحر ، بقرب حطام السفينة ، وإن حبك وعشقك أرقى ما في الوجود من مشاعر، أكره دموعي الآن ، رغم أني سأظل أحبك ، فحبي لا يملك ذاكرة ، أنت توأم روحي ، فروحي أهبها لك ، فهل تكفيكِ روحي ؟

أنتظر ردك على رسالتي ، وليس من عادتك التأخر في الرد ، حبي لك عذاب ، حب بدون قانون يحكمه ...

لقد قاسيت كل الهوان من أجل الظفر بحبك ، فعشقي لك جنون ، وعشقي لك أعظم مما بالمجانين ، اشتقت لعبق أنفاسك ، ورائحتك الزكية

وابتساماتك الراقية ، ونظراتك التي لا تقدر بثمن ...دعيني يا حبيبتي فالحب للشجعان ...

لعل الله أذاقني أحلى الأقدار ، سأسقيك من مشاعري ...أريد أن تجيبيني بصراحة ، هل وصلتك رسالتي ..!!

ففكرك يذهب العقل ، لقد قمت باحتلال وجداني ، وصرت عاشقا للحزن في غيابك ، فلا تجعليني عاشقا للكآبة والأحزان ، تعالي إليّ ...إني أنتظرك ...

سأرويك عسلا مصفى ...

فشوقي أصبح ألما ...

شوقي لك ليس مشكلة ، ولكن غيابك المقلق وانقطاع أخبارك هو ما يزعجني ...

إني أرفض أن أستقيل من مهنة حبك ، فلقد زرعتك في شرياني كحقنة أنسولين ، فأنت أحلى مما في الورود ، لقد أردتني حبك ، فنحن المحبون دائما حمقى ....أتمنى من أعماق قلبي أن تصلك رسالتي ...حبيبتي 💚

حبيبك أدريان 💓

أتممت كتابة الرسالة ، واتجهت مباشرة نحو مكتب البريد ، كان الجو صحوا والشمس حارقة تلقي بلهيبها على رقاب المارة ، اكتفيت بالمشي رغم أن المسافة بعيدة ، ولكن لظروف قسرية اضطررت لذلك ...

كنت فيما مضى أكتفي بوضعها في علبة الرسائل بالقرب من تقاطع الطرق قريبا من الجدول ، ولكني هذه المرة سأسلمها بيديّ إلى الموظف، كي أستفسره عن تلك الرسالة الأخرى ...

وصلت بشق الأنفس ، أشعث أغبر ، كريه الرائحة ، تفوح مني رائحة العرق النتنة ، استوقفني الحارس يسألني بلهجته القاسية و بعينين حمراوتين : نعم ...سيدي

_لديّ رسالة أود إرسالها ، وأود أيضا استفسار الموظف بخصوص رسالة أيضا .

_بطاقة هويتك من فضلك !!

أخرجت البطاقة من معطفي البالي ، وناولتها له ، بدأ يقرأ المعلومات بصوت جهير ، كأنه يسخر مني ...و لقد استفزني ذلك ...

_خذ رقمك وانتظر خلف الطابور ، وفي المرة المقبلة اشتر لك عطرا ، فهذه وكالة وليست حظيرة ...سيدي أدريان.

بصوت خفيض سلمت على من كان بالوكالة ، والكل يرمقني بازدراء ، لقد كنت عملاقا ريفيا ، ينتعل حذاءين سيئا التلميع ، كريها الرائحة ، جلست على الأرض وراء الطابور ، كان الجو حارا والوكالة باردة كالنعيم ...

أخرجت رواية كنت أستانس بها حينه ، رواية رومانسية حزينة ، بدأت القراءة بتمعن ، فبعد كل صفحتين أنظر إلى أين وصل الطابور الطويل ، وأنا أتعايش مع أطوارها ومآسيها ، وتلك اللحظات الحزينة المبكية والمدمية ، أثرت فيّ بشكل كبير ، حتى أني بدأت أحس إحساسا صادقا أني سأعيش وقع أحداث الرواية ، تارة أسترسل في القراءة وعيناي يغلبهما النعاس ، فالجو بارد داخل الوكالة ، وتارة أستأنس بدردشات شابين بقربي ، طالبين على ما أظن ، ينتظران دورهما كذلك ، أرفع رأسي للأعلى محاولا دفع النوم ...

ففي سكرة النوم تلك ، سبحت بخاطري فقمت بالغوص في أعماق الحقيقة والموضوعية ...

ما الذي يجعل كاترين تعجب بقبيح مثلي ...!!

انتصبت واقفا ، ووجهي يحمل من التعابير الصامتة ما يحمله وجه الأبله...

كاترين الجميلة الحلوة ، البيضاء كالثلج ، الشابة الرشيقة ...!!

لقد صرت أعرف كل شيء عن الخيانة ، تلك الحقيقة البحتة التي لا يصدقها أحد ، تلك الميتة الحقيرة ، قد أغفرها لك ، ولكني لن أنسى ... لا ...ثم لا ...

أعدك أني سأشنق كل خائن ، فأتمنى من أعماق قلبي ألا تكوني خائنة.

انفجر الحاضرون في ضجيج حاد مضطرب ، بعدما تخطى مجهول كل المنتظرين أنانية منه لا غير ، بدأت أجفف جبيني بمنديل ورقي أخرجته من جيبي الخلفي ، فغر الرجل فاه المترامي الأبعاد وعبّأ صدره وزفر زفيرا مدويا ، أعقبه استهجان من الناس بالوكالة ، رجع إلى الخلف وهو منكس الرأس ، وانطلق الحاضرون بموجات من الضحك المجلجل ، رجل بوجه منسق مرتب ، فوجئ على حين غرة ...المسكين ...لم يوتَ رشاقة التصرف والتعبير ...

لقد شغلني كثيرا موضوع كاترين ، عشنا لحظات أنس وحب وصدق ، كانت كل الإشارات تدل على أن كل شيء سيلتئم عما قريب ، سنصبح توأم روح وسنجتمع تحت سقف واحد ...

أمن الممكن أن أكون مجرد دمية تسلية لا غير ...!!

رأسي تؤلمني من كثرة التفكير ، وضعت الرواية على فخذي ، وأمامي امرأة حسناء رشيقة قد ألهبت كل ذكور الوكالة ، وأغرت كل ذكر لا زالت تسري فيه سهام الشهوة ، كان الأمر في غاية الروعة ، والجميلة الفاتنة تفوح منها رائحة الياسمين ...

سمعت الحارس يصيح برقمي ، نهضت بحذر وقد اشتد بي التعب ، اتجهت إلى ناحية الموظف ، أترنح في مشيتي أجر رجلي ، ولا زالت تلك النظرات المريبة من الحاضرين تشعرني بالتوتر والخجل .

أما صديقي الرجل الشجاع فقد أخذ الحقد ينهشه ، فبدأ يسب الناس ، وقد لازم الناس صمت فيلسوف حكيم ، باصقا بين الفينة و الأخرى في منديله الأزرق المنقط بالسواد ، صب في مخيلتي أن كبريائي سيتحطم ، شعور لا أدري أكان صادقا ، أم أن الرواية قد جرت مجرى الدم .

نظرت إلي تلك الحسناء وهي تعض على شفتيها حنقا ، وأنا بدوري أنكس بصري تارة ، وأسترق تلك النظرات السريعة تارة ، وكلما سنحت لها فرصة عابرة تختلسها نظرةً إليّ ...

على ضوء الشمس الحارقة التي تخترق تلك الستائر الشفافة يحوم جيش من الذباب ...أعطيت الموظف الرسالة وانتظرت إلى حين ، أخبرني أن الرسالة قد وصلت ، وقد استلمتها كاترين ، وأخبرني أيضا أن رسالتها قد تمّ إرسالها إلى البلدة ...!!

_أجبت : لم يصلني شيء ...

_رد عليّ بلهجة سريعة : سأكلم ساعي البريد ، وسأخبرك بالتفاصيل، ارجع عندي يوم الأربعاء وانتظر حتى يحين دورك ...وسأرتب لك موعدا معه ، مع السلامة إذن ...

أخذت كراسة بجيب معطفي البالي ، كراسة مجلدة أدون فيها مواعيدي ويومياتي ، فلم أتخلف يوما عن موعد ، ولن اتخلّف أبدا ...

بدأ الموظف بنقر الأرض بحذائه إشارة للحارس يقول :

_الآخر ...هيا ...أسرعوا ...اقترب موعد الغذاء ...

رجعت للبلدة سالكا الطريق الطويل مترجلا كالعادة ، وأنا أتعرق من شدة الحرّ ، ومعطفي يزيد الطين بلة ، فكرت لوهلة في خلعه ، خفت أن أصاب بنزلة برد ، وأنا في الطريق لا أنفك أفكر في كاترين الجميلة ، اقتربت من منزل بإحدى الممرات الجبلية ، منزل ليس كباقي منازل المنطقة ، قصر مصغر تتخلله أشجار الزيتون والرمان ، في وسطه نخلة باسقة ، يخرج منه ريح بارد وأصوات شجية ، وعصافير على فروع أشجاره لم أرها منذ زمن ، وصوت مياه الجدول زاد القصر بهاءا وروعة .

اقتربت من المنزل وقد أخذت كلاب ضيعتي بالنباح ، ولم تكن سوى صيحة واحدة مني حتى سكتوا جميعا ، وقد تحول نباحهم لأنين ملؤه ودّ وتملق.

لقد كنت وحيدا في غرفتي بديعة الزينة فظيعة الترتيب ، قريبا من الحظيرة والإسطبل ، فبعد أن خلعت معطفي ، ألقيته من شدة التعب على الأرض المتربة ، استرحت لدقائق حالما يجف عرقي ، وحالما ألتقط الأنفاس ، فتحت النافذة واتكأت بمرفقي على حافتها أنظر اتجاه بعض أشجار الصنوبر أتحسس صوت أوراقها ، والحزن يخيم عليّ ...

وصلتني رسالة...!!

إذن كاترين لا زالت تحبني ...!!

يا لي من متهور متسرع ، لا بأس أني لم أكتب في الرسالة شيئا يزعج، وضعت بعض الملابس المبللة على بعض الأخشاب قرب الموقد ، رجعت للغرفة ، استلقيت على السرير وأشعة الشمس الحارقة تنساب من زجاج النافذة ، بدأت أبحث عن غليوني الضائع بين ملابسي المبعثرة وقد أطلقت العنان لسيل من الشتائم بكل سخاء ، لقد اخترت لنفسي حيزا من هذه الدنيا اتسم بالعزلة والكتابة ، وانتظار رجوع الحبيب ، أعيش بين الحيوانات وعلى طنين النحل والذباب وعلى نفحات من الهواء العفن الذي يحوم حولي كل يوم ، إنها غرفتي النتنة وأحذيتي البالية ...

لقد اشتقت لنسمات الربيع النقية مع كاترين ، وهي تنظر إلي أنظف مرابض الخيول ...لقد كان سائر كيانها يفيض بالجاذبية المرحة ، ونهداها المكتنزتين فوق كل وصف واعتبار ...

أما أنا فلا أملك سوى وجه شاحب قاسي الملامح ...

هناك بالقرب من أكوام السماد ، بضع حمامات تلتقط ما تناثر من الحب على الأرض ، وقد تجهم وجهي وهام بي هيام شديد وأنا أتذكر غياب كاترين المقلق ، ولا زالت قصة الرسالة مريبة بالنسبة لي .

في صبيحة يوم الأربعاء على السادسة صباحا ، جهزت العربة بخيلين أنيقين ، بجسمهما المقعر وهيكلهما الجميل ، وتلك الرقبة المقوسة ، والذيل الطويل ، وتلك العيون الواسعة البراقة ، والجبهة العريضة المحدبة ...

ولطالما كنت عاشقا للخيول ...

ارتديت بذلة أنيقة ، ومضيت بخطى وئيدة قوية مليئة بالحيوية وأنا أمر بكلابي التي بدأت للتو بنهش نعجة ماتت لي هذا الصباح ، احتذيت حذاءا لماعا هذه المرة ، مشطت لحيتي ورتبت شعر رأسي ، وقد ارتسمت على وجهي قسمات المزارع الفذ .

تعودت التدخين منذ مدة طويلة انا وكاترين ، بل وتدخين الحشيش أيضا، لعلها تسكت صوت الضمير أحيانا وتدفع الضجر لبعض الوقت ، فبثوبها مكشوف الصدر والظهر والذراعين ، تتجارى بين ثخوم الدجاج ، كانت حياة على هامش الشرائع السماوية ، لقد كنت منكود الطالع قبل معرفة

كاترين ، لقد صرت هرما بكثرة الهموم والوحدة ...هرم مبكر فموت ذريع ...

هكذا أمضينا خمسة أعوام من الحب الذي وصل لحد التهديد بالإنتحار حال الفراق ، لقد انسقت في البداية مع وسائل الإغراء من مال وجمال ، ولعل خجلي الكثير هو الذي حفز كاترين على المضي قدما بعلاقتنا نحو الأمام وطمعا في السيطرة عليّ .

استيقظت اليوم متعب الحواس ، دخنت لفافة تبغ ، وقهوتي الصباحية تفوح منها رائحة شهية ...

أشرت للخيلين بالسير ، وغليوني أتبختر به من على العربة ، فلا تسمع إلا صوت الصهيل والحوافر ، عاودتني حيويتي الدافقة وأنا أنتشي فوق العربة ، كانت عربة فخمة لحد ما ، بدواليب مؤطرة بإطارات من مطاط ، وكان من الغريب أن ترى مثل هذه العربات ، فقد تأثر كثير من المزارعين بالجفاف ، فمنهم من باع كل شيء ، ومنهم من ظل يقترض هنا وهناك إلى أن استحوذ البنك والدائنون على ممتلكاته ، ومنهم من اجتهد وصبر وكافح إلى أن تجاوزنا هذه المحنة ، وأنا كنت من الصنف الرابع ، وهم المنعمون بنعيم الإرث والمال الوفير ...

كانت حياة سخيفة جوفاء ، وقد عطرتها كاترين الجميلة ...

لقد كتبت رسالة أخرى ولكني وجدتها جافة مهينة ، كتبتها وأنا في حالة سكر ، مزقتها في الصباح الباكر بعصبية شديدة ، لقد احمر وجهي خجلا لتلك التعابير التي رماني بها فكري المخمور ، لقد راودتني أفكار عما إذا أحبت غيري ، وهذا ما لا أطيق احتماله ، كانت الأفكار تتنازع ، وأنا أضحك في سري ، لقد كنت هادئ البال في ضيعتي وحيدا منعزلا ، وصرت الآن أعذب كل دقيقة .

كانت الحركة شديدة بقرب مكتب البريد ، دخلت ، ولكن هذه المرة أصبحت شخصية ترفع لها القبعات ، وتشرئب الأعناق لمعرفتها والاطلاع على أسرارها ...

_ من هذا يا ترى !!!

_لعله من أعيان المدينة المغتربين!!!

_لعله من كبار المزارعين ، أو من النبلاء عشاق الفروسية ...!!!

دخلت ولم أجد طابورا كآخر مرة زرت فيها الوكالة ، كانت شبه خالية ، اتجهت نحو مكتب موظف الإستقبال أسأله عما إذا حضر ساعي البريد بخصوص الرسالة السالف ذكرها ، أشار إلي بالتقدم نحو الممر الرابع

على اليمين بقرب الحوالة ، وأنا أمشي في الممر ، لمحت تلك الفاتنة بفستان وردي تنتظر بدورها ...

لقد كنت أستحيي بطبعي وخاصة مع النساء ، نكست بصري وإذا بساعي البريد ذي الملامح الهادئة ، البدين ، القصير القامة ، الأشيب الرأس ، يوشك أن يخرج ، صافحته وسألته بإحترام وقد خلعت قبعتي له تحية واحتراما ...

أردفت قائلا :

_لي رسالة لعنوان كذا وكذا ...

رجع إلى مكتبه ، فتح دفترا وبدأ يبحث ، وأخيرا قال :

_آنسة جوليا ...أهنئك ...لقد أتى صاحب الرسالة ...

انتابتني دهشة ...هل أنا بهذه القساوة والشهامة ينادى عليّ بجوليا ..

التفت فإذا بالجميلة ذات الفستان الوردي تتبختر في مشيتها مبتسمة مبتهجة ...تتقدم نحو ساعي البريد ..

قال ساعي البريد بنبرة ساخرة :

_أأنت صاحب تلك الكلاب الشرسة ..!!

_أجبت في خجل : نعم ..

_قال : أظن أنك رجل محترم وغني أيضا ، ولكني أخاف من الكلاب وأنا سمين لا أقوى على الجري أيضا ، وارتأيت أن أضع رسالتك بمنزل الآنسة جوليا بقرب مزرعتك على يمين الطريق قرب الجدول ، لقد قالت أنها تعرفك جيدا وستقوم بإعطائها لك ، لقد أسدت إلي معروفا...ولكن للأسف ، كلابك كانت بالمرصاد لجوليا أيضا ...

تفضل : هذه رسالتك ونعتذر لك على التأخر ، سيدي أدريان ...

سأنصرف الآن آنسة جوليا ...سيدي أدريان ...أتمنى لكما حظا سعيدا ...

نهضت جوليا بأناة ، مدت يدها لمصافحتي ولم يكن لي خيار آخر سوى مصافحتها...

_أهلا. ...آنسة

_سيدي المحترم .

حاولت أن أكون محترما وأن أفعل الصواب في هذه اللحظة :

_هل تحتاجين توصيلة ..!!

نظرت إلي وكأنها تنتظر تلك الخدمة :

_بكل سرور سيدي المحترم ...

كان الناس يزدحمون والحركة تتعاظم ، وأنا أسمع ضحكات المدير الصاخبة ، وأنا في الممر شدني الفضول للإلتفات ، فرأيتها مجددا ، ذات الشعر الأشقر ، اجتاحتني عاصفة من الغم وأنا أتأبط روايتي الرومانسية، فبخطى سريعة أهرول نحو عربتي ، فتحت الباب وانحنيت قليلا بعد أن مددت يدي للحسناء التي رفعت بدورها طرف فستانها للصعود ...

_على رسلك آنسة جوليا ...على رسلك ...

_سيدي المحترم

أوصدت الباب بإحكام ، وبدأت بتفقد الإطارات والسّرج ، أشعلت لفافة تبغ وانطلقت صوب الضيعة مباشرة ، أردت ولو بشكل بديهي لفت انتباه جوليا ...فبدأت بالغناء ولم أجد أفضل من أغنية (وراء جبال الشوق) للفنان (جيتيس باسكفيتشيوس) ، رائعة ليتوانية عندي معها ذكريات رائعة ، لقد عاشت جوليا أطوار الأغنية وانتبهت بشدة ولم تكترث أبدا لصوتي القبيح ، كانت تشرب معين الكلمات ، وتستشعر الأحاسيس المتدفقة عبر سطور المحبين ...

كان ولا بد من التوجه للقصر الصغير قرب نهر الدلافين ، هناك بالضبط بيت جوليا ، وصلت حوالي الواحدة زوالا ، وقفت بقرب الباب الكبير ، نزلت مسرعا كي أفتح باب العربة ، نزلت جوليا وقد رسمت على وجهها قسمات الذهول قليلا ...

ثلاث طرقات كفيلة بأن يجيبني الحارس الطويل القامة العريض المنكبين، وما إن رأى عربتي من بعيد ، حتى صاح بي :

_مرحبا بالسيد أدريان

_مرحبا

_أظن أن الآنسة جوليا قد عثرت عليك أخيرا ..

_ضحكت ...ما قصتي مع جوليا ...هل حقا كان الأمر يستحق هذا الإهتمام ...!!

أشكركم جميعا ، وشكرا جزيلا آنسة جوليا ، أراك قريبا ...

انصرفت لحالي ، متشوقا لطعام أسد به رمقي ، ولماء عذب أنقع به غلتي ، وصلت متوجا بحب الجيران ، وباهتمام لا نظير له من جوليا ، الوجه العطوف ناصع البياض ، ظللت طوال الليل أشرب الخمر وأدخن الغليون ، بل وأكتب في بعض الأحيان ، لم أذق طعم الراحة طيلة هذا

الأسبوع ، شربت الكثير من الكحول استعدادا لقراءة الرسالة ، سأعيش سكرتين ، سكرة خمر وسكرة حب ، فتحت الرسالة كعادتي بيدي المرتعشتين وكانت كالتالي :

عزيزي أدريان

****لقد قلت لك أني لا أستطيع ...***

هل تعلم أن أمي لم تحبك قط ، تلك البدينة التي ترتدي فستانا أصفرَ ، وعلى رأسها قبعة بوردتين بنفسجيتين ، لقد قابلتها الصيف المنصرم ...

هل تعلم أن أبي لا يحب المزارعين ويتبعها قولته الشهيرة : المزارعون جيف وهمج كريهو الرائحة ...

إنه الرجل نحيل الجسم ، طويل العنق ، المدمن ، السكير ، لقد قابلته في آخر زيارة لنا ...

لقد هب الجميع واقفين حين سمعوا موضوع الزواج ، نطقت أمي بخلاصة القول : أذاك القبيح ، أحمر الشعر ، أنمش الوجه...لا وألف لا ...

أنا يا حبي أدريان لست سوى بائعة هوى ، قد أكون مصدر رزق لوالدي ولعائلتي ، ولنفسي أيضا ، أظن وبشكل كبير أن ارتباطي بك كزوجة أمر

لا أقدر عليه ، لست غبية كي أسجن في قفص تحوم حوله القوانين ، أنت إنسان رائع ، بجسمك مليح الإنسجام ، وبقلبك الكبير ، وبمالك الوفير ، ولكنّي لا أحبّ القيود ...

أكرر لك أنـي لا أستطيع ...

لقد أحببتك ...لقد أحببتك ...

أنت الذكي هنا ...

أجب عن هذا السؤال إذن :

كيف يكون حب العاهرات في نظرك ؟

لا أستطيع ذلك حبيبي أدريان 😭💌

لقد كسرت كاترين كل الجسور ، ولربما انتظرها عمر أجمل في مكان ما، لقد تمنيت لقاءها كثيرا ، بل وسهرت الليالي شوقا وأحلاما ...

قرأت قصائد العشق ، ألتمس في ثناياها الصبر ، دمعة مرة تنزل الآن ... الآن ...

شوقي أصبح قاتلا ، وقد يكون حبّا في زمن خاطئ ، لقد كانت أنفاسي تتصاعد بسرعة ، وقد عاودني القيء من جديد ، لقد أفرطت في الشرب، فرجلاي لم تعد تقويان على المشي ، ترتعدان بقوة ، أصبحت أثقل من المعتاد ، أجبت بصوت راعد وبلا تردد :

_تبا لك يا عاهرة ما حييت ...

جلست كالمجفل كما وقفت ، عاليَ الرّأس شهما ، وعلى رغم شحوب لوني ، أحسست براحة لم أر لها مثيلا منذ زمن ...

أتذكر ابتسامتي الساذجة البريئة ، وكيف استغلتها كاترين ، إنه لموقف عجيب ومروع وممزق لنياط القلب...

هي خدعة الإبتسامة ، تلك الإبتسامة التي أفترت عنها شفتاها ، والأمارات المعبرة عن الحب التي بدت على ملامحها ، هي الفتاة المنتصبة القوام ، الجادة الملامح ، التي يصطبغ وجهها بحمرة الخجل ، فتاة تتورد خداها من الحياء ، فكيف لأبله مثلي أن يفرق أو أن يفهم حقيقة الأمر ...

إنّه موعد النوم ...سأنام كي أنسى لوهلة ...

جوليا

كانت لا تزال مستلقية على ظهرها في فراشها ووجهها نحو الباب ، تتمعن في تلك الحدائق وتستجمع قوى الأفكار لكتابة حصة جديدة من يومياتها ، كانت فتاة مثقفة تهوى الكتب والروايات ، كانت عاشقة للأدب والحروف ، تعشق الرومانسية ، بل وتكتب كتابات على مستوى عال من الرومانسية ...

كانت تعاني من ضعف البصر ، ولكن ذلك لم يمنعها من أن تتوغل بين السطور وتعيش حلاوة التعبير ، لقد انهمرت دموعها ، وتبدلت ملامحها، وتسمرت عيناها ، وهي ترى حب أدريان وكاترين ، لقد ملأت رفوف مكتبتها بخواطر عن أدريان ، لم تكن تتوقع أن يتبخر حبها فجأة ...

لقد انفجرت باكية حين علمت أن الزواج قد اقترب ، اعتكفت لمدة من الزمن في غرفتها وهي متسمرة في سريرها كأنها أصيبت بالشلل ، فصارت تسمع أصوات الطيور على أنها أصوات مثيرة للأسى ، بل وتدفن وجهها في راحتيها من شدة الألم والندامة ...

ودائما ما كانت تستأنس بالكتابة ، وتكتب دائما عن ذلك السيد المهذب المليىء بالحنان ، بل وأصبحت لا تعير ملابسها أدنى اهتمام ...

استمر الأمر لشهور ، إلى أن جاءت رصاصة الرحمة ، لم يمنعها حبها وعشقها لأدريان من أن تفتح رسالة كاترين لأدريان ، لقد أطلقت العنان للفرح والنشاط ، لقد انتقت لنفسها أرقى الفساتين ، واحتذت أفضل الأحذية ، واختارت أجود القبعات ...رصاصة رحمة أنقذت جوليا من يأس وكآبة واكتئاب ، ولعل الله جعل لها فرصة لا تعوض ، من أجل الفوز بحب أدريان ، والبوح بالحب كما هو ...

تتحف كراستها بسطور من الحروف الأنيقة وخطها الجميل ، تحضر محبرتها وتبدأ في الكتابة بدموع ملأها العشق القاتل ...

فعندما يخبو الضوء ، تتسلل كائنات الليل لتهيمن على الأجواء ، يجلس أدريان وبقربه زجاجة شراب وفي فمه غليونه الطويل ، يبوح لتلك الكائنات بأسرار حبه الضائع ، وسذاجته المضحكة ...

روائح قوية من الكحول تؤلم العيون تنتشر في أرجاء الضيعة ، نار هادئة وأنابيب للتقطير ، شراب الثمر كان المفضل لدى أدريان الذي بدأ يعيش مأساة العاشق الولهان ...

في الطرف الآخر ، جوليا التي بدأت تعقد العزم على أن تصارح أدريان مهما كان الثمن ، كانت في مزاج رائق حين صادفته في مكتب البريد ،

لقد أعاد لها الحياة من جديد ، بعدما تأكدت أن لا زواج سيعقد ، ستبذل كل الجهد للظفر به ، ولو ...

لقد ارتكبت خطأ جسيما كادت تدفع ثمنه بموت ذريع جراء اكتئاب مر، لقد اتسمت حياتهما بالهدوء بعيدا عن الصخب ، هدوء داخلي لكليهما ، ولّد إحساسا من الإبداع والشوق ...

ذات صباح استيقظت جوليا باكرا ، كان الجو غائما وقد عمّ أرجاء الضيعة ضباب كثيف ، وبجوار غرفتها دالية عنب قد ألقت بأوراقها على نافذة الغرفة من فوق هياكل من قصب قد اسودّ لونها ، وأمام الغرفة طريق طويل مرصص بالحجارة ، وعلى عطفيه نبتة زنبق السلام الجميلة بزهورها البيضاء الصغيرة ، ونبتة لسان الجن ثلاثي الأحزمة فظيعة الشكل ، وقد زين ذلك كله بعض أشجار الفيكس وكرمة عظيمة تظل المكان بأسره ...

هبت ريح واحدة ، جاءت بأنسام الشوق ، لقد كانت جوليا تهوى إبداء بعض الملاحظات كل يوم عن فارس كتاباتها الراقية ...

دنت من رف الكتب واستلت منه كتابا ، خرجت للشرفة المطلة على الطريق ، وقد جلست على كرسي خشبي ، وعن يمينها طاولة صغيرة فوقها كوب قهوة شهي ...

بعد ذلك بساعة تقريبا ، لمحت عربة أدريان قادمة من بعيد ، ارتجفت انفعالا وخوفا ، وزوبعة من الخواطر الرهيبة تدور بخاطرها ، والعربة تقترب من باب المنزل شيئا فشيئا ، أسرعت تعيد الكتاب لمكانه مضطربة، وهي تغطي وجهها بيديها مسرعة كي تغيّر ملابسها على الأقل ، لقد توزعتها مشاعر شتى ، رجعت للشرفة وقد جلست تقلم أظافرها متظاهرة بالهدوء مصطنعة عدم الإكتراث ، والفوضى تسبح في كل ركن من أركان غرفتها ...كتب وقراطيس في كل مكان ، امرأة واسعة العلم والاطلاع .

وقفت عربة السيد بالقرب من الباب الكبير ، وبدأ في التكلم مع الحارس نيكولاي ، استمر حديثهما لخمس دقائق تقريبا ، وإذا بالحارس ينادي على جوليا أن السيد أدريان ذاهب للبلدة ، يسألها إن كانت تود قضاء حاجة لها ...

ارتبكت جوليا ارتباكا عظيما ، وكلما فكرت في التردد ، تتذكر حبها الذي كاد يضيع وفرصتها الآن ...

قالت وهي تخاطب نفسها :

_أنا أجدر بحبه وأخلق بمودته .

تصرف أدريان باحترام كما هو معهود عليه ، وجوليا تحدق به بعينين واسعتين مدهوشتين ...

رسالة واحدة عاملتها بخيانة وفتحتها واطلعت عليها ، ساعدت في التقريب بينهما ...

كان كلما نطق بكلمة تغمز بعينها اليسرى غمزا واضحا ، إلا أن طبعها كمثقفة يجعلها مبتدئة في فنّ الإغواء ، لن تكون ككاترين المتمرسة طبعا، دارت بينهما أحاديث من كل فن ، مرت الدقائق بقليل من التعارف والخجل ، ولشدة الحب الذي تكنه جوليا ، كان ولا بد من الصراحة القاتلة ...

لقد كانت دائما تكتب شيئا من تلك الصراحة ، كانت تريد أن تبوح بما في داخلها ولو نجم عن ذلك عواقب وخيمة ، ففي داخل حقيبتها الصوفية

الحمراء استلت ورقة مختومة بقبلة مرسومة بأحمر الشفاه ، كان ولا بد من ذلك ، حبّ شديد ولد شكلا من هيستيريا الخوف ...

حاولت ما أمكن ، فلم تجد سوى كتابة رسالة تعبر فيها عن حبها للأخير، جلست مطمئنة بجوار النافورة وبيدها قلم كي تكتب كل شيء .

عزيزي أدريان

يبدأ حلمي معك حين أنام ، وأنا أفكر فيك ، أنت حبي الأول والأخير، فلا أدري كيف سأعيش بدونك ، فمتى ستشرق شمسنا سيدي أدريان

أنت غالٍ علي ، أنت القمر وأنت العسل ...

أريدك لنفسي ...

سأفديك روحي ...

فهل تكفيك روحي ...؟

جوليا

انتظرت جوليا لأيام حتى تستجمع قواها كي ترسل الرسالة لمنزل أدريان، وتختصر عليها مشقة المواجهة والتعبير ...

مرت الأيام وجاء اليوم المنشود ، اتجهت جوليا صوب الحارس نيكولاي، وبيدها كتاب وقد أحكمت إغلاقه بخيط وقد عطرته بأروع عطورها وبداخله الرسالة مباشرة بعد فتحه ، كان الجو معتدلا وكل شيء على ما يرام ، تسلم نيكولاي الكتاب واتجه مباشرة نحو الضيعة ...

وهو يمشي في الطريق فوجئ بغياب صوت الكلاب ، وهذا أمر غريب لم يعهده سكان المنطقة ، قال الحارس وهو يحدث نفسه :

_هناك شيء خطب ما ...

وصل إلى الضيعة ، وقد بدأ بطرق الباب طرقات قوية فلم يجب أحدٌ ، أعاد الطرق وهو ينادي :

_سيد أدريان ...سيد أدريان ..

لم يجب أحد ...

وفجأة تكلمت عجوز كانت ترعى أغناما بقرب الضيعة :

_هل تسأل عن السيد أدريان ..؟

_نعم

_لقد أهدانا بضع غنيمات ورحل ، لقد وزع كل دواجنه على فقراء المنطقة ، وودعنا جميعا ، لقد باع ضيعته ورحل ...

_إلى أين ...؟

_لم يخبر أحدا ، ولكنه تحدث عن فتاة اسمها كاترين ، أدريان رجل طيب وسنشتاق إليه ...

رجع نيكولاي وهو يحمل أخبار رحيل أدريان ، وهو يمشي بكل ثقة ، سقط الكتاب من يده وقد انسلت الرسالة وسقطت على الأرض ، شده الفضول لمعرفة فحواها ...لم يتورع في ذلك ...بدأ يقرأ ويقرأ ، إلى أن انفجرت دموعه وقد خاب ظنه وضاع حبه وقد هام به هياما شديدا ،

نظر نيكولاي إلى السماء خاشعا متبتلا وهو يقول :

_ألا أيها القلب الذي أصر وألح على عذابه ، أفق فقد أفاق العاشقون ، وقد آن لك أن تلقى الطبيب المعالج .

انتهى بفضل الله وكرمه في 2 رمضان 1441 هـ / الموافق ل 26 أبريل 2020 م